مجموع فتاوى

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

« قدّس الله روحه »

جمع وترتيب

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم « رحمه الله »

وساعده ابنه محمد « وفقه الله »

المجلد الخامس

طبع بأمر

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

وإذا كان مدلول الدليل العقلى أنه لا بد أنه قديم تقوم به الأفعال شيئاً بعد شيء ، فهذا إنما يناقض قول المبتدعة من أهل الملل الذين ابتدعوا الكلام المحدث ـ الذي ذمه السلف والأئمة ـ الذين قالوا : إن الرب لم يزل معطلاً عن الفعل والكلام . فصار ما علمته العقلاء من أصناف الأمم من الفلاسفة وغيرهم بصريح المعقول هو عاضد وناصر لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على من ابتدع فى ملته ما يخالف أقواله .

وكان ما علم بالشرع مع صريح العقل أيضا راد لما يقوله الفلاسفة الدهرية من قدم شيء من العالم مع الله بل القول « بقدم العالم » قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه ؛ فليس أهل الملة وحدهم تبطله ، بل أهل الملل كلهم ، وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف المشركين : مشركي العرب ، ومشركي الهند وغيرهم من الأمم . وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن ، بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء ، والعرب المشركون كلهم كانوا يعترفون بأن الله خالق كل شيء ، وأن هذا العالم كله مخلوق ، والله خالقه وربه ، وهذه الأمور مبسوطة فى موضعها .

والمقصود هنا الكلام على ما يحتاج إليه من معرفة « حديث النزول » وأمثاله ، وهما «الأصلان المتقدمان» ومن تمام الأصل الثاني لفظ « الحركة » هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه ؟ اختلف فيه المسلمون ، وغيرهم من أهل الملل ،

وغير أهل الملل من أهل الحديث وأهل الكلام، وأهل الفلسفة وغيرهم على ثلاثة أقوال. وهذه الثلاثة موجودة فى أصحاب الأئمة الأربعة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم. وقد ذكر القاضى أبو يعلى الأقوال الثلاثة عن أصحاب الإمام أحمد فى «الروايتين والوجهين» وغير ذلك من الكتب.

وقبل ذلك ينبغي أن يعرف أن لفظ الحركة والانتقال والتغير والتحول، ونحو ذلك ألفاظ مجملة؛ فإن المتكلمين إنما يطلقون لفظ الحركة على الحركة المكانية، وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان بحيث يكون قد فرغ الحيز الأول وشغل الثاني: كحركة أجسامنا من حيز إلى حيز، وحركة الهواء والماء، والتراب والسحاب، من حيز إلى حيز؛ بحيث يفرغ الأول ويشغل الثاني؛ فأكثر المتكلمين لا يعرفون للحركة معنى إلا هذا.

ومن هنا نفوا ما جاءت به النصوص من أنواع جنس الحركة؛ فإنهم ظنوا أن جميعها إنما تدل على هذا، وكذلك من أثبتها وفهم منها كلها هذا كالذين فهموا من نزوله إلى السماء الدنيا أنه يبقى فوقه بعض مخلوقاته، فلا يكون هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، ولا يكون هو العلى الأعلى، ويلزمهم أن لا يكون مستويا على العرش بحال كما تقدم.

والفلاسفة يطلقون لفظ «الحركة» على كل ما فيه تحول من حال إلى حال. ويقولون أيضا: حقيقة الحركة هى الحدوث أو الحصول، والخروج من القوة إلى الفعل يسيراً يسيراً بالتدريج. قالوا: وهذه العبارات دالة على معنى الحركة

وقد يحدون بها الحركة . وهم متنازعون فى الرب تعالى هل تقوم به جنس الحركة ؟ على قولين .

وأصحاب « أرسطو » جعلوا الحركة مختصة بالأجسام ، ويصفون النفس بنوع من الحركة ؛ وليست عندهم جسماً فيتناقضون . وكانت الحركة عندهم « ثلاثة أنواع » فزاد ابن سينا فيها قسما رابعاً فصارت « أربعة » . ويجعلون الحركة جنساً تحته أنواع : حركة فى الكيف ، وحركة فى الكم . وحركة فى الوضع ، وحركة فى الأين .

« فالحركة فى الكيف » هي تحول الشيء من صفة إلى صفة ؛ مثل اسوداده واحمراره واخضراره واصفراره ، ومثل مصيره حلواً وحامضاً ، ومثل تغير رائحته ؛ وكذلك فى النفوس كعلم الإنسان بعد جهله ، وحبه بعد بغضه ، وإيمانه بعد كفره ، وفرحه بعد حزنه ، ورضاه بعد غضبه ؛ كل هذه الأحوال النفسانية حركة فى الكيف ، وهذا مما احتج به من جوز منهم الحركة،فإن إرادته لإحداث الشيء عندهم حركة .

و « الحركة فى الكم » مثل امتداد الشيء ، مثل كبر الحيوان بعد صغره ، وطوله بعد قصره ، ومثل امتداد الشجر والنبات وامتداد عروقه فى الأرض وأغصانه فى الهواء ، فهذا حركة فى المقدار والكمية ؛ كما أن الأول حركة فى الصفات والكيفية .

وأما « الحركة فى الوضع » ؛ فمثل دوران الشيء فى موضع واحد ، كدوران « الفلك » و « المنجنون » الذي يسمى الدولاب ، وكحركة الرحى وغير ذلك ، فإنه لاينتقل من حيز إلى حيز ؛ بل حيزه واحد ، لكن يختلف فى أوضاعه ، فيكون الجزء منه تارة محاذياً للجهة العليا فيصير محاذياً للجهة السفلى ؛ أو للجهة اليمنى فيصير محاذياً للجهة اليسرى .

وهذا النوع يقولون : إن ابن سينا زاده .

(والرابع) : الحركة فى الأين وهي الحركة المكانية ، وهو انتقاله من حيز إلى حيز .

وأما عموم أهل اللغة فيطلقون لفظ الحركة على جنس الفعل . فكل من فعل فعلاً فقد تحرك عندهم ؛ ويسمون أحوال النفس حركة ، فيقولون : تحركت فيه المحبة ، وتحركت فيه الحمية ، وتحرك غضبه ، وتوصف هذه الأحوال بالحركة والسكون : فيقال : سكن غضبه ، قال تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ) ، فوصف الغضب بالسكوت ، وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ومعاوية بن قرة ، وعكرمة : (ولما سكن) بالنون وعلى القراءة المشهورة (بالتاء) قال المفسرون : سكت الغضب ، أي سكن .

وكذلك قال أهل اللغة ؛ الزجاج وغيره .

قال الجوهري : سكت الغضب مثل سكن ؛ فالسكون أخص ؛ فكل

ساكت ساكن، وليس كل ساكن ساكتاً، وإذا وصف بالسكون دل على أنه كان متحركا؛ وهذا وصف للأعراض النفسانية بالحركة والسكون.

والأشعري قد استدل على أن الحركة وأنواعها لا تختص بالأجسام بما وجد من استعمالهم ذلك فى الأعراض؛ قال: فإنهم يقولون: جاءت الحمى، وجاء البرد، وجاءت العافية، وجاء الشتاء، وجاء الحر. ونحو ذلك مما يوصف بالمجيء والإتيان من الأعراض. ومجيء هذه الأعراض هو حدوث وتغير وتحول من حال إلى حال.

فإن قيل: ما وصف بالحركة والسكون من هذه الأعراض فإنما هو لتحرك المحل الحامل لذلك العرض — وإلا فالعرض لايقوم بنفسه، ولا يفارق محله؛ فإن الحمى والحر والبرد يقوم بالهواء الذي يحمل الحر والبرد. وكذلك الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، وهذا حركة الدم؛ فإذا سكن غليان الدم سكن الغضب.

قيل: ليس الأمر كذلك؛ بل هذا يستعمل فيما يحدث من الأعراض فى المحل شيئاً فشيئاً وإن لم يكن هناك جسم ينتقل معه كما تقدم من الحركة فى الكيفيات والصفات؛ فإن الماء إذا سخن حدثت فيه الحرارة، وسخن الوعاء الذي فيه الماء من غير انتقال جسم حار إليه، وإذا وضع الماء المسخن فى المكان البارد برد من غير انتقال جسم بارد إليه.

وكذلك الحمى حرارة أو برودة تقوم بالبدن من غير أن ينتقل إلى كل جزء

من البدن جسم حار أو بارد . والغضب ــ وإن كان بعض الناس يقول : إنه غليان دم القلب فهو ـ صفة تقوم بنفس الغضبان غير غليان دم القلب ؛ وإنما ذلك أثره ؛ فإن حرارة الغضب تسخن الدم حتى يغلي .

فإن مبــدأ الغضب من النفس ، هي التى تتصف به أولا ، ثم يسري ذلك إلى الجسم ، وكذلك الحزن والفرح وسائر الأحوال النفسانية . والحزن يوجب دخول الدم ؛ ولهذا يصفر لون الحزين ، وهو من الأحوال النفسانية ؛ لكن الحزين يستشعر العجز عن دفع المكروه الذي أصابه وييأس من ذلك ؛ فيغور دمه ، والغضبان يستشعر قدرته على الدفع أو المعاقبة ؛ فينبسط دمه .

والحركة والسكون والطمأنينة التى توصف بهــا النفس ليست مماثلة لما يوصف به الجسم ، قال تعالى : (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) والاطمئنان هو السكون ؛ قال الجوهري : اطمأن الرجل اطمئنانا وطمأنينة : أي سكن ، قال تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) وكذلك للقلوب سكينة تناسبها . قال تعـالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) .

وكذلك «الريب» حركة النفس للشك ، ومنه الحديث : « أن النبى صلى الله عليه وســلم مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد» ويقال : رابنى منه ريب ، و « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » وقال : « الـكذب ريبة والصدق طمأنينة » فجعل الطمأنينــة ضد الريبة وكذلك اليقين ضد الريب . واليقين يتضمن معنى

الطمأنينة والسكون ، ومنه ماء يقن وكذلك يقال : انزعج . وأزعجه فانزعج أى أقلقه ويقال ذلك لمن قلقت نفسه ، ولمن قلق بنفسه وبدنه حتى فارق مكانه ؛ وكذلك يقال : قلقت نفسه ، واضطربت نفسه ، ونحو ذلك من أنواع الحركة . ويسمى ما يألفه جنس الإنسان ويحبه سكناً ؛ لأنه يسكن إليه . ويقال : فلان يسكن إلى فلان ويطمئن إليه ويقال : القلب يسكن إلى فلان ، ويطمئن إليه ، إذا كان مأمونا معروفاً بالصدق ؛ فإن الصدق يورث الطمأنينة والسكون .

وقد سميت الزوجة سكنا ، قال تعالى : (خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) ، وقال : (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ؛ فيسكن الرجل إلى المرأة بقلبه وبدنه جميعاً .

وقد يكون بدن الشخص ساكناً ونفسه متحركة حركة قوية ، وبالعكس قد يسكن قلبه ، وبدنه متحرك . والمحب للشيء المشتاق إليه يوصف بأنه متحرك إليه ؛ ولهذا يقال : العشق حركة نفس فارغة . فالقلوب تتحرك إلى الله تعالى بالمحبة والإنابة والتوجه ، وغير ذلك من أعمال القلوب وإن كان البدن لايتحرك إلى فوق . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . ومع هذا فبدنه أسفل ما يكون .

فينبغي أن يعرف أن الحركة جنس تحته أنواع مختلفة باختلاف الموصوفات بذلك . وما يوصف به نفس الإنسان من إرادة ومحبة وكراهة وميل ونحو ذلك

كلها فيها تحول النفس من حال إلى حال وعمل للنفس، وذلك حركة لها بحسبها ؛ ولهذا يعبر عن هذه المعـــانى بألفاظ الحركة ، فيقال : فلان يهفو إلى فلان كما قيل :

يهفو إلى البان من قلبي نوازعه   وما بى البان بل من دارة البان

وهذا اللفظ يستعمل فى حركة الشيء الخفيف بسرعة ، كما يقـــال : هفا الطائر بجناحه ، أي خفق وطار ، وهفا الشيء فى الهواء إذا ذهب كالصوفة ونحوها ، ومر الظبي يهفو ، أي يطفر ، ومنه قيل للزلة : هفوة ، كما سميت زلة ، والزلة حركة خفيفة ، وكذلك الهفوة .

وكذلك يسمى المحب المشتاق الذى صار حبه أقوى من العلاقة « صباً » وحاله صبابة ، وهو رقة الشوق وحـــرارته ، والصب المحب المشتاق ، وذلك لانصباب قلبه إلى المحبوب كما ينصب الماء الجاري ، والماء ينصب من الجبل ، أى ينحدر . فلما كان فى انحداره يتحرك حركة لا يرده شيء سميت حركة الصب « صبابة » وهذا يستعمل فى المحبة المحمودة والمذمومة .

ومنه الحديث : « أن أبا عبيدة رضي الله عنه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم فى سرية بكى صبـابة وشوقاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم » . والصبابة والصب متفقان فى الاشتقاق الاكبر . والعــرب تعاقب بين الحرف المعتل

والحرف المضعف كما يقولون : تقضى البازى وتقضض ، وصبا يصبو : معناه مال ، وسمي الصبي صبيا لسرعة ميله . قال الجوهرى : والصبى أيضاً من الشوق ، يقال منه تصابى ، وصبا يصبو صبوة وصبواً ، أى مال إلى الجهـــل والفتوة ، وأصبته الجارية .

وقد يستعمل هذا فى الميل المحمود على قراءة من قرأ : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ) بلا همـــزة فى قراءة نافع ، فإنه لا يهمز « الصابئين » فى جميع القرآن . وبعضهم قد حمده الله تعالى ؛ وكذلك يقال : حن إليه حنيناً ، ومنه حنا فى الاشتقاق الأكبر يحنـــو عليه حنواً . قال الجوهري : حنـــوت عليه عطفت عليه ، ويحنى عليـــه ، أى يعطف ، مثل تحنن ، كما قال الشاعر :

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى فـكيف تحنيهـــا وأنت تهينها

وقال : الحنين : الشوق وتوقان النفس ، ويقال حن إليه يحن حنينا ، فهو حان والحنان الرحمة يقال حن عليه يحن حنانا ، ومنه قوله تعـــالى : (وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً) والحنان بالتشديد : ذو الرحمة ، وتحنن عليه ترحم ، والعرب تقول : حنانيك يارب وحنانك بمعنى واحد ، أى رحمتك ، وهذا كلام الجوهرى .

وفى الأثر فى تفسير « الحنان ، المنان » : أن الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال ، وهذا باب واسع .

والمقصود هنا أن هذا كله من أنواع جنس الحركة العامة ، والحركة العامة هي التحول من حال إلى حال ؛ ومنه قولنا : لا حول ولا قوة الا بالله . وفي « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي موسى رضي الله عنه : « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قال : بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وفي « صحيح مسلم » وغيره ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قال المؤذن : الله أكبر ؛ فقال الرجل : الله أكبر ، فقال : أشهد أن لا إله الا الله ؛ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال : أشهد أن محمداً رسول الله؛ فقال: أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم قال : حي على الصلاة ؛ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : حي على الفلاح ، فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : الله أكبر الله أكبر فقال : الله أكبر الله أكبر .

فلفظ الحول يتناول كل تحول من حال إلى حال ، والقوة هي القدرة على ذلك التحول ؛ فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلى حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله . ومن الناس من يفسر ذلك بمعنى خاص فيقول : لا حول من معصيته إلا بعصمته ؛ ولا قوة على طاعته إلا بمعونته .

والصواب الذى عليه الجمهور هو التفسير الأول وهو الذى يدل عليه

اللفظ ، فإن الحول لا يختص بالحول عن المعصية ، وكذلك القوة لا تختص بالقوة على الطاعة ، بل لفظ الحول يعم كل تحول .

ومنه لفظ « الحيلة » ووزنها فعلة بالكسر ، وهي النوع المختص من الحول كما يقال : الجلسة ، والقعدة ، واللبسة ، والإكلة ، والضجعة ونحو ذلك بالكسر هي النوع الخاص ، وهو بالفتح المرة الواحدة . فالحيلة أصلها حولة ، لكن لما جاءت الواو الساكنة بعد كسرة قلبت ياء ، كما فى لفظ ميزان وميقات وميعاد وزنه مفعال ؛ وقياسه موزان وموقات ؛ لكن لما جاءت الواو الساكنة بعد كسرة قلبت ياء ، قال تعالى : (إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) من الحيل ؛ فإنها نكرة فى سياق النفي فتعم جميع أنواع الحيل .

وكذلك لفظ « القوة » قال تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) ولفظ القوة قد يراد به ما كان فى القدرة أكمل من غيره ؛ فهو قدرة أرجح من غيرها ، أو القدرة التامة . ولفظ « القوة » قد يعم القوة التى فى الجمادات بخلاف لفظ القدرة ؛ فلهذا كان المنفي بلفظ القوة أشمل وأكمل . فإذا لم تكن قوة إلا به لم تكن قدرة إلا به بطريق الأولى . وهذا باب واسع .

والمقصود هنا أن الناس متنازعون فى جنس « الحركة العامة » التى تتناول ما يقوم بذات الموصوف من الأمور الاختيارية كالغضب والرضا والفرح ،

وكالدنو والقرب والاستواء والنزول ، بل والأفعال المتعدية كالخلق والإحسان وغير ذلك على ثلاثة أقوال :

(أحدها) قول من ينفي ذلك مطلقاً وبكل معنى ، فلا يجوز أن يقوم بالرب شيء من الأمور الاختيارية . فلا يرضى على أحد بعد أن لم يكن راضياً عنه ، ولا يغضب عليه بعد أن لم يكن غضبان ، ولا يفرح بالتوبة بعد التوبة ؛ ولا يتكلم بمشيئته وقدرته إذا قيل إن ذلك قائم بذاته .

وهذا القول أول من عرف به هم « الجهمية ، والمعتزلة » وانتقل عنهم إلى الكلابية والأشعرية والسالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة : كأبي الحسن التميمي ، وابنه أبي الفضل ، وابن ابنه رزق الله ، والقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني ، وأبي الفرج بن الجوزي ؛ وغير هؤلاء من أصحاب أحمد — وإن كان الواحد من هؤلاء قد يتناقض كلامه — وكأبي المعالي الجويني وأمثاله من أصحاب الشافعي ، وكأبي الوليد الباجي وطائفة من أصحاب مالك ، وكأبي الحسن الكرخي وطائفة من أصحاب أبي حنيفة .

(والقول الثاني) : إثبات ذلك ، وهو قول الهشامية والكرامية وغيرهم من طوائف أهل الكلام الذين صرحوا بلفظ الحركة .

وأما الذين أثبتوها بالمعنى العام حتى يدخل في ذلك قيام الأمور والأفعال

الاختيارية بذاته ؛ فهذا قول طوائف غير هؤلاء : كأبي الحسين البصرى ، وهو اختيار أبى عبد الله بن الخطيب الرازي ، وغيره من النظار ، وذكر طائفة : أن هذا القول لازم لجميع الطوائف .

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي إثبات لفظ الحركة فى كتاب نقضه على بشر المريسي ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث ، وذكره حرب بن إسماعيل الكرمانى : لما ذكر مذهب أهل السنة والأثر عن أهل السنة والحديث قاطبة وذكر ممن لقى منهم على ذلك : أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه ، وعبد الله ابن الزبير الحميدى ، وسعيد بن منصور . وهو قول أبى عبد الله ابن حامد وغيره .

وكثير من أهل الحديث والسنة يقول : المعنى صحيح ، لكن لا يطلق هذا اللفظ لعدم مجيء الأثر به ، كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر وغيره فى كلامهم على حديث النزول .

والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث : هو الإقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتى وينزل ، وغير ذلك من الأفعال اللازمة .

قال « أبو عمرو الطلمنكي » : أجمعوا ـ يعني أهل السنة والجماعة ـ على أن

الله يأتى يوم القيامة والملائكة صفاً صفاً لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء ، قال تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ) وقال تعالى : (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) .

قال : وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء ، لا يحدون فى ذلك شيئاً ، ثم روى بإسناده عن محمد بن وضاح قال : وسألت يحيى بن معين عن النزول فقال نعم . أقر به ، ولا أحد فيه حدا .

(والقول الثالث) الإمساك عن النفي والإثبات ، وهو اختيار كثير من أهل الحديث والفقهاء والصوفية ــ كابن بطة وغيره . وهؤلاء فيهم من يعرض بقلبه عن تقدير أحد الأمرين ، ومنهم من يميل بقلبه إلى أحدهما ، ولكن لايتكلم لا بنفي ولا بإثبات .

والذي يجب القطع به أن الله ليس كمثله شيء فى جميع ما يصف به نفسه . فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين فى شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعاً ، كمن قال إنه ينزل فيتحرك وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار ، كقول من يقول : إنه يخلو منه العرش ؛ فيكون نزوله تفريغاً لمكان وشغلا لآخر ؛ فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه كما تقدم .

وهذا هو الذي تقوم على نفيه وتنزيه الرب عنه الأدلة الشرعية والعقلية ؛ فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه الأعلى، وقال : (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى). فإن كان لفظ العلو لا يقتضي علو ذاته فوق العرش ؛ لم يلزم أن يكون على العرش.

وحينئذ فلفظ النزول ونحوه يتأول قطعاً، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول. وإن كان لفظ العلو يقتضي علو ذاته فوق العرش، فهو سبحانه الأعلى من كل شيء، كما أنه أكبر من كل شيء. فلو صار تحت شيء من العالم لكان بعض مخلوقاته أعلى منه، ولم يكن هو الأعلى، وهذا خلاف ما وصف به نفسه.

وأيضاً فقد أخبر : أنه (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) فإن لم يكن استواؤه على العرش يتضمن أنه فوق العرش ؛ لم يكن الاستواء معلوماً، وجاز حينئذ ألا يكون فوق العرش شيء ؛ فيلزم تأويل النزول وغيره.

وإن كان يتضمن أنه فوق العرش فيلزم استواؤه على العرش، وقد أخبر أنه استوى عليه لما خلق السموات والأرض فى ستة أيام وأخبر بذلك عند إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بألوف من السنين، ودل